

في صفات الرب جل وعلا

وتتضمن عقيدة الإمام عبدالله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٣٨

للعلامة الشيخ أحمد بن ابراهيم الواسطي الشافعي الصوفي
المعروف: بابن شيخ الحزاميين
المتوفى ٧١١

تحقيق

زهير الشاويش

المكتب الاسلامي

الطبعة الثالثة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

المكتب الاسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا: اسلاميا

دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد فقد سبق لنا طبع هذه الرسالة سنة ١٣٨٣ ضمن مجموع «أربح البضاعة»(١). وكان عنوانها «عقيدة الواسطي» ولعله من جامعها الشيخ علي بن سليمان بن حلوة آل يوسف رحمه الله(٢). أو

---

(١) مجموع فيه عقيدة أهل السنة لعدد من المؤلفين. طبعت لأول مرة في الهند سنة ١٣١٦ لرد ما انتشر من الدعوات الباطلة التي راجت.

(٢) هو الشيخ علي بن سليمان بن حلوة من آل يوسف التميمي البغدادي. كان من تلامذة العلامة محمود شكري الآلوسي توفي سنة ١٣٣٧ هـ.

من صنع النساخ، وقد رأيت أن المؤلف سماها «النصيحة» في الصفحة (٨) فطبعتها بهذا الاسم[1].

واليوم وقد كثرت الأقاويل في مسألة الصفات، وخاض في هذا البحث من يعرف ومن لا يعرف، ورمى الناس بعضهم بالتكفير، من جراء الجهل، والتأويل لبعض مسائل العقيدة وخصوصاً . مسألة الصفات لله تعالى، والفوقية له عز وجل، وكلام الله: القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله سبحانه، وهي مسائل هامة شغلت أذهان كثير من الباحثين. وكثر الإختلاف حولها.

وسبق لمثل هذه الفتنة ان قامت في عصر الامام الواسطي، الشافعي، الصوفي، العابد الزاهد. فكتب هذه النصيحة باسلوب علمي موضوعي، بعيد كل البعد عن الانفعالات، ولا غرابة في ذلك فهو رجل السلوك الرفيع، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ونقل الكثير مما فيها عن الإمام عبدالله بن يوسف

(١) في عام ١٣٧٤ على نفقة الشيخ علي آل ثاني رحمه الله.

الجويني[1] وقصده في ذلك - والله أعلم - النقل لإمام قديم من أئمة الشافعية فإنه أرجى للقبول، وأقل للإعتراض.

وقد عزوت الآيات الكريمة لمواضعها من كتاب الله، وخرجت الأحاديث الواردة فيها. واضفت تعليقات قليلة حيث وجدت ضرورة لذلك.

والله أسأل أن ينفع بها كما نفع بما سبق وطبعنا من كتب العقيدة[2]، التي هي الاساس لهذا الدين، الذي

---

(١) هو عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيُّويه الجويني، أبو محمد عالم في اللغة والفقه. مفسر. ولد في جوين، ثم سكن نيسابور ومات بها سنة ٤٣٨ هـ.

(طبقات الاسنوي ١/٣٣٨)، الانساب ١٤٤، طبقات السبكي ٥/٧٣، طبقات العبادي ١١٢، العبر ٣/١١٨، معجم البلدان ٢/١٦٥، ابن خلكان ٢/٢٥٠، اللباب ١/ ٢٥٧، البداية ١٢/٥٥ طبقات المفسرين ١٥. الأعلام ٤/١٤٦.

(٢) ومنها: عقيدة الامام الطحاوي بشرح العلامة ابن ابي العز الحنفي مع مقدمة هامة للمحدث الالباني، ومعها «التوضيح». لما أثاره أحدهم عن طبعتنا الثالثة.

وطبعت «العقيدة» مفردة، وكذلك بشرح موجز من قبل المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. و«الرد على الجهمية» للدارمي.

يضمن للبشرية سعادة الدنيا والآخرة .

وقد سبق لأمتنا الإسلامية أن تبوأت مكانة العز والكرامة باتباع هذا الدين فحملت للبشرية ما تصبو إليه من العدالة والهناء ، وها نحن نرى اليوم ما أصابنا من ذل ببعدنا عن هدي السماء ، وما أصابنا بل وأصاب البشرية جمعاء من تسلط الفكر المادي على المقدرات فأصبحنا نرى أنواعاً من الاستعمار للشعوب جعلتنا نرى أنواع الاستعمار والعبودية السابقة أهون شراً وأخف ضرراً .

بل أضحت الثقافة التي كانت عنواناً للرقي والحضارة مثال الخداع والزيف وإبعاد الناس عن الأصالة والتراث ، فبدلاً من أن تكون سبيلاً لخدمتهم أضحت طريق عبوديتهم وتبعيتهم .

وكذلك الثروات التي استخرجت من باطن الأرض لنفع البشرية فكانت ملهاةً بأيدي العابثين واستغلال

= و«العلو» للذهبي . و« شرح قصيدة ابن القيم » وغيرها .

كما طبعنا كذلك كتب شيخ الاسلام ابن تيمية . ومؤلفات تلميذه الامام ابن القيم . و«الرد الوافر» لابن ناصر الدين . و«الأعلام العلية» للبزار بتحقيقي وغيرها .

أعداء الأمم المستضعفة وتحولت إلى أدوات الدمار. تنصب حممها أول ما تنصب على الذين استخرجت من بلادهم، ونبعت في أرضهم، وإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإنني أرى أن لا سبيل إلى عودة المسلمين إلى دينهم إلا بإصلاح عقيدتهم أوّلاً، فإذا صلحت نفوسهم وأحوالهم عادوا إلى قيادة الأمم نحو الخير والهداية، وإن الله سبحانه وهو أعلم حيث يجعل رسالته كان الحكيم الخبير حيث وضعها في الجيل الذي أحاط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمل صحابته من بعده راية الهداية غير طامعين ولا متكبرين ولا فارضين جزيات، وجامعي جبايات. فمهد الله لهم الأرض، ووصلوا في خلال خمسين سنة إلى أكثر المعمور من الأرض. مع ما كانوا عليه من تسامح فيما يخص أنفسهم.

على حين رأينا أن الولاة المتنطعين المتشدقين المجعجعين لم يفتحوا شبراً واحداً، ولم يبقوا لنا مكرمة نفاخر بها...!

وهذه أمتنا مفرقة، وأرضنا محتلة، مدمرة، والأعداء في جولة وصولة، ونحن لا حول لنا ولا قوة... وأكثر ما فينا من داء من أبناء جلدتنا. فإليك المشتكى، وعليك التوكل يا رب!!

فاللهم أسألك أن تجعلنا من الهداة المهديين الحافظين لكتابك، الموحدين لذاتك وصفاتك، المطبقين لسنة نبيك، المجاهدين في سبيلك، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت غرة المحرم ١٤٠٣

زهير الشاويش

هو عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي[٢] ابن شيخ الحزّامين - وهي طائفة معتدلة من الأحمدية الرفاعية.

ولد في سنة ٦٥٧ بواسط، ثم رحل إلى بغداد، وحج واقام بعد ذلك بالقاهرة ثم دمشق. وله مؤلفات قيّمة في الفقه، والسيرة[٣]، والدعوة الى الله باقتفاء

---

(١) انظر ترجمته «الرد الوافر» لابن ناصر الدين رقم ٣٢ بتحقيقي.

(٢) واسط بلدة أنشأها الحجاج بن يوسف بن الكوفة والبصرة، كانت قاعدة العراق أيام بني أمية. وبالقرب منها بلدة «أم عبيدة» مدفن السيد احمد الرفاعي. المتوفى سنة ٥٧٨، والمترجم من اخواله، وكان الرفاعي بعيداً عن الذي يشاع ويعرف عن هذه الطريقة من أحوال تخالف الشرع.

(٣) فقد ألف في الفقه الشافعي، ثم اختصر «الكافي» في الفقه الحنبلي للإمام الموفق ابن قدامة المقدسي، كما اختصر السيرة النبوية لابن هشام. وله عدد من الكتب والرسائل.

السنة واتباع الآثار، والرد على المبتدعة كالاتحادية والحلولية وغيرهم ، وأصحاب الآراء الشاذة مما كان سائداً في زمنه

وكان مشهوراً بالزهد، وكثرة العبادة، معمور الأوقات بالأوراد والذكر، والافادة، والتصنيف، والفكر.

وكانت له منزلة كبيرة عند علماء العراق والشام.

قال عنه الامام الذهبي: شيخنا القدوة [1].

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يقول عنه: جُنيد وقته. تشبيهاً له بالامام الجنيد[2] العالم العابد الكبير،

---

(١) انظر «المشتبه» ١/٢٢٣.

(٢) هو الامام العالم العابد الجنيد بن محمد، أبو القاسم النهاوندي البغدادي، وكان من الزهاد، من قوله: الطريق إلى الله مسدود، إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، فلا يقتدى به. ومن قوله: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، وينسب المتصوفة اليه من الأقوال ما لا يصح أن ينسب لعاقل، والصحيح المنقول عنه يجعله في منزلة عالية، وكانت وفاته سنة ٢٩٧ هـ. حلية الأولياء ١٠/٢٥٥ الأعلام ٢/١٤١.

الذي يتمسح به المتصوفة وهو بريء من خزعبلاتهم.

ويلاحظ أنه قد ضمَّن عقيدته هذه الكثير جداً من عقيدة الإمام عبدالله بن يوسف الجويني، ولعل قصده ايضاً ،أن يبين أن المعتقد الذي هو عليه، مع أنه من تلامذة ابن تيمية لا يختلف عن عقيدة الإمام الشافعي وكبار رجال المذهب، وهذا رد ضمني على بعض الشافعية الذين كانوا يحرضونه على ابن تيمة وعقيدته. وهذا مما يدل على عقله الكبير.

وله رسالة قيمة بعث بها إلى أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية، يوصيهم به، وبالتماسك والتعارف، وأرجو الله أن يوفقني لطباعتها قريباً.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة ٧١١ بالمارستان الصغير[1].

---

(١) كان محله جنوب غربي الجامع الاموي. وليس له الآن أثر أو ظل، والمارستان الكبير الذي بناه نور الدين محمود زنكي عليه رحمة الله، ما زال عامراً في وسط المدينة فيه الثانوية التجارية في آخر شارع طارق بن زياد. أنظر منادمة الأطلال ٢٥٩

ودفن بسفح قاسيون[1].

جزاه الله عن نصيحته للمسلمين خير الجزاء، فقد نصح فيما قال ونقل ووعظ وذكر.

رحمه الله رحمة واسعة بفضله وكرمه[2].

---

(١) تجاه زاوية السيوفي على نهر يزيد، في سفح جبل قاسيون قرب الجسر الأبيض بدمشق.

(٢) وانظر «شذرات الذهب» ٦/٢٤ و«القلائد الجوهرية» ٣٥٢ و«العقود الدرية» ٢٩٠.



الحمد لله الذي كان ولا مكان، ولا إنس ولا جان، ولا طائر ولا حيوان، المتفرد بوحدانيته في قِدم أزليته، والدائم في فردانيته في قدس صمدانيته، ليس له سمي ولا وزير، ولا شبه له ولا نظير، المقتدر بالخلق والتصوير، المتصرف بالمشيئة والتقدير، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

له الرفعة والحمد والثناء، والعلو والاستواء، لا تحصره الأجسم، ولا تصوره الأوهام، ولا تُقِلْهُ الحوادث والأجرام، ولا تحيط به العقول والأفهام.

له الأسماء الحسنى، والشرف الأتم الأسنى، والدوام الذي لا يبيد ولا يفنى.

نصفه بما وصف به نفسه، من الصفات التي توجب عظمته وقدسه، مما أنزله في كتابه، وبيَّنه

رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه.

ونؤمن بأنه الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم، السميع البصير العليم، القدير الرحمن الرحيم، الملك القدوس العظيم.

لطيف خبير، قريب مجيب، متكلم، شاءٍ، مريدٍ، فعال لما يريد، يقبض ويبسط، ويرضى ويغضب، ويحب ويبغض، ويكره ويضحك، ويأمر وينهى.

ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير، والكلام المبين، واليدين والقبضتين.

والمقدرة والسلطان، والعظمة والامتنان، لم يزل كذلك ولا يزال. استوى على عرشه، فبان من خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط، وبصره بهم نافذ.

وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا تمثل بشيء من جوارح مبتدعاته، بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته، لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العيون، بل نؤمن بحقائقها وثبوتها، ونصف الرب سبحانه وتعالى بها،

وننفي عنها تأويل المتأولين، وتعطيل الجاحدين، وتمثيل المشبهين، تبارك الله أحسن الخالقين.

فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد، وله نصلي ونسجد، فمن قصد بعبادته الى إله ليست له هذه الصفات، فإنما يعبد غير الله، وليس معبوده ذلك بإله، فكفرانه لا غفرانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لرسالته، واختاره لبريته، وأنزل عليه كتابه المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أكرم آل وأفضل عبيد.

أمّا بعد،

فهذه «نصيحة»[1] كتبتها إلى اخواني في الله، أهل الصدق والصفاء والاخلاص والوفاء، لما تعيَّن عليَّ محبتهم في الله، ونصيحتهم «في صفات الله»[1] فإن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(١) من هنا أخذت عنوان الرسالة.

وفي الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي، قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[1].

وعن تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[2].

وأعرفهم - أيدهم الله بتأييده، ووفقهم لطاعته ومزيده - أني كنت برهة من الدهر متحيِّراً في ثلاث مسائل:

(مسألة الصفات).

(ومسألة الفوقية).

(ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد).

وكنت متحيِّراً في الأقوال المختلفة الموجودة في

(١) «مسند» الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: ٣٥٨/٤، طبع المكتب الاسلامي.
(٢) «المسند» ١٠٢/٤.

كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل.

فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله، ناطقة مبينة لحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت.

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من تأوَّل الاستواءَ: بالقهر والاستيلاء وتأوَّل النزولَ: بنزول الأمر وتأوَّل اليدين: بالنعمتين والقدرتين وتأوَّل القدم: بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك...

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنى قائماً بالذات، بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

ومما ذهب الى هذه الأقوال أو بعضها، قوم لهم في صدري منزلة، مثل بعض فقهاء الأشعرية[1]

---

(١) المنسوبين للإمام ابي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٦، أحد الأئمة المجتهدين، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب «الإبانة» الذي رجع فيه إلى عقيدة السلف والرد على المعتزلة=

الشافعين، لأني على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى،[1] عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلّة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي، وليَّ فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها.

فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو، والاستواء، والنزول، مخافة الحصر والتشبيه.

= وغيرهم. وصرح فيه بأن معتقده هو عقيدة الامام أحمد بن محمد بن حنبل، وأثبت فيه صفة العلو وسائر الصفات لله جل وعلا. وقد خالفه بعض أتباعه بذلك.

(١) نسبة للامام محمد بن إدريس الشافعي، أحد أئمة السنة، ولد في غزة (أعادها الله وسائر بلاد المسلمين) سنة ١٥٠ وكانت وفاته سنة ٢٠٤.

ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله، أجدها نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم، قد صرح بها، مخبراً عن ربه، واصفاً له بها، وأعلم بالاضطرار أنَّه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم، والجاهل، والذكي، والبليد، والأعرابي الجافي.

ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص، التي كان صلى الله عليه وسلم يصف بها ربَّهُ، لا نصاً ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كما تأولها هؤلاء ـ مشايخي الفقهاء المتكلمون ـ مثل تأويلهم الاستواءُ بالاستيلاء. والنزول: بنزول الأمر وغير ذلك..

ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفة لربه من الفوقية واليدين وغيرهما، مثل أن ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أُخر باطنة، غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتبة، ويد النعمة، وغير ذلك.

وأجد الله عز وجل يقول: ﴿الرّحمنُ على العرش استوى﴾ وقال:

﴿خلَقَ السّمواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيامٍ ثُمَّ استوى على العرشِ﴾[1] في سبع مواضع.

وقال الله تعالى: ﴿يخافونَ ربَّهم مِنْ فَوقِهِمْ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿إلَيْهِ يَصعد الكَلِمُ الطَّيِّبُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفعُهُ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ﴾[4].

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿أأمِنتُمْ مَنْ في السَّماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فإذا هيَ تَمُورُ. أمْ أمِنتم مَنْ في السَّماء أنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُم حاصباً﴾[5]

---

(١) والمواضع السبعة التي اشار اليها هي في سور: طه: (٥) والمؤمنون: (٨٦) والفرقان: (٥٩) والنمل: (٢٧) والسجدة: (٣٢) والحديد: (٤) والرعد: (٢).

(٢) سورة النحل الآية (٥٠)

(٣) سورة فاطر الآية (١٠).

(٤) سور النساء الآية (١٥٨).

(٥) سورة الملك الآية (١٦ - ١٧).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ ربِّكَ﴾[1].

وقال الله عن فرعون: ﴿يا هامانُ ابنِ لي صَرْحاً، لعلي أبلغ الأسباب. أسبابَ السمواتِ، فَأَطَّلِعَ إلى إلهِ موسى، وإني لأظُنه كاذباً﴾[2].

وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء، ولهذا قال: ﴿وإني لأظُنه كاذباً﴾.

وقال: ﴿مِنَ اللهِ ذي المعارِجِ، تعرُجُ الملائِكَةُ والروحُ إليه في يومٍ كانَ مِقدارُهُ خمسينَ ألفَ سَنَةٍ﴾[3].

ثم أجدُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم، لما أرادَ اللهُ أنْ يَخُصَّهُ بِقُربه، عرجَ به من سماء إلى سماء، حتى كان قاب قوسين أو أدنى.

ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، للجارية: «أين الله؟» فقالت: في السماء،

---

(١) سورة النحل الآية (١٠٢).

(٢) سورة غافر الآية (٣٦).

(٣) سورة المعارج: (٣ - ٤).

فلم يُنكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا أن الأمرخلاف ما هو عليه، بل أقرَّها، وقال: «اعتقها، فإنها مؤمنة».

وعن معاوية بن الحكم السلمي، قال قلت: يارسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «ادعها» فدعوناها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «اعتقها، فأنها مؤمنة»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت

---

(١) مختصر صحيح مسلم رقم ٣٣٣ طبع المكتب، ومالك في «موطئه».

(٢) وهو الحديث المشهور بين الناس، بالمسلسل بالأولية مروياً عن عبد الله بن عمرو. قال العطار في «انتخاب العوالي» ص ٩: هذا حديث عظيم، حسن الاسناد، والمتن. رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح. وقال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح لغيره. أنظر «الصحيحة» ٩٢٢ و«مختصر العلو» ٨٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من اشتكى منكم بأساً، أو اشتكى أخ له فليقل: ربّنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء والأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك، على هذا الوجع، ليبرأ» أخرجه أبو داود[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «بعث علي من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ[٢] لم تحصل في ترابها، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة. زيد الخير، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، أو عامر بن الطفيل، شك عمارة، فوجد[٣] من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في

(١) «سنن» ابي داود: كتاب الطب١٩ رقم ٣٨٩٢ وفي سنده زياد بن محمد، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: منكر الحديث.

(٢) الأديم: الجلد، والمقروظ: المدبوغ بالقرظ. وهو ثمرة شجر عفصي صحراوي معروف.

(٣) اي من الموجدة: الغضب.

السماء، يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً؟» أخرجه: البخاري، ومسلم.

وعن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أدخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل»... الحديث[1].

(١) رواه ابن ماجه تحت رقم (٤٢٦٢) وتمامه: «... وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي ايتها النفس الخبيثة! كانت في الجسد الخبيث. اخرجي ذميمة، وابشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج. ثم يعرج بها الى السماء فلا يفتح=

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها» أخرجه: البخاري، ومسلم.

وعن أبي داود، ثنا محمد بن الصباح، ثنا الوليد بن أبي ثور. عن سِماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس ابن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه ؟» قالوا: السحاب، قال: «والمزن ؟» قالوا: والمزن، قال: «والعنان » قالوا: والعنان، قال: «هل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض ؟» قالوا: لا ندري. قال: «إن بُعْدَ ما بينهما إما واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاثة

=لها. فيقال: من هذا؟ فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة. فإنها لا تفتح لك ابواب السماء. فيرسل بها من السماء، ثم تصير الى القبر».

وسبعون سنة، ثم السماء فوق ذلك، حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه، مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء، الى سماء، ثم الله عز وجل فوق ذلك»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، وهو عنده فوق العرش» أخرجه البخاري.

وعن محمد بن اسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت حكماً حكم الله به من فوق سبعة أرقعة»[٢].

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سنده «الوليد بن أبي ثور» قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ضعيف. وفيه أيضاً «عبد الله بن عميرة» قال الذهبي: فيه جهالة.

(٢) أنظر السيرة النبوية لابن هشام القسم الثاني ص: ٤٠.

وحديث المعراج: عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة حدثه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم على ليلة أسري به، وساق الحديث... إلى أن قال: «فرضت عليّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة، فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: أن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك، فرجعت إلى ربي فوضع عني عشراً، خمس مرات، في كلها، يقول: رجعت إلى موسى، ثم رجعت إلى ربي». أخرجه البخاري، مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، يجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم، وهو بهم أعلم، كيف تركتم عبادي...» الحديث، متفق

عليه.

وعن ابن عمر، قال: لما قبض رسول الله ﷺ دخل عليه أبو بكر، فأكب عليه، وقبل وجهه وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، وقال: من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله في السماء حي لا يموت. رواه البخاري.

وعن محمد بن فضل، عن فضيل بن غزوان. عن نافع، عن ابن عمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: إن الله زوَّجني من السماء، وفي لفظ: زوجكن أهلوكن، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات. أخرجه البخاري.

وفي حديث جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله فوق عرشه، فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه مثل القبة، وأشار النبي ﷺ بيده مثل القبة»[1].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله

---

(١) «سنن» أبي داود: كتاب السنة ١٨.

عنـــه، قـــال: قـــال رســـول الله ﷺ: «مـــن لم يَـــرْحَـــم مـــن في الأرض لم يـــرحمْهُ مـــن في السماء»[1].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لمّا أسري به مرت به رائحة طيبة. فقال: «يا جبريل، ما هذه الرائحة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون، وكانت تمشطها فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنته: أبي؟ فقالت: لا بل رب أبيك. فأخبرت أباها، فدعا بها، فقال: ألك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء. وأمر بنقرة نحاس، فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها. .» الحديث. رواه الدارمي وغيره.

وروى الدارمي، وغيره بإسناده الى أبي صالح. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقي ابراهيم في النار، قال: اللهم، إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك».

وأما الآثار عن الصحابة في ذلكِ فكثيرة، منها:

قول عمر رضي الله عنه، عن خولةَ لما استوقفته فوقف

---

(١) «صحيح الجامع الصغير وزياداته» لاستاذنا المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني برقم (٩٠٩).

لها، فسُئِل عنها، فقال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات

وعبد الله بن رواحة لما وقع على جارية له، فقالت امرأته: فعلتها!! فقال: أما أنا فاقرأ القرآن، فقالت: أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب، فقال:

شهدتُ بأنَّ وعدَ الله حق
وأن النارَ مثوى الكافرينا
وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ
وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
وتحملُهُ ملائكةٌ كرامٌ
ملائكة الإلهِ مسومينا

وابن عباس لما دخل على عائشة رضي الله عنها، وهي في النزع، فقال: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ ـ ولم يكن يحب إلا طيباً ـ وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات.

وكذلك نجد أكابر العلماء كـ: عبد الله بن المبارك رضي الله عنه، صرح بمثل ذلك:

روى عثمان بن سعيد الدارمي، قال: حدثنا الحسن بن

الصباح، قال: ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك[١]، قيل له: كيف نعرف ربنا، قال: بأنه فوق السماء على العرش بائن من خلقه[٢].



---

(١) هو الإمام عبدالله بن المبارك، شيخ الإسلام، المجاهد الشجاع، التاجر الكريم الجواد، صاحب التصانيف في الحديث، والفقه والعربية، وأيام الناس، وهو أول من صنف في «الجهاد» توفي في «هيت» غربي الفرات، سنة ١١٨ رحمه الله.

(٢) راجع «الرد على الجهمية» طبع المكتب الاسلامي بتحقيقي: باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه الى السماء وبينونته من الخلق: ص ١٤ وما بعدها.

فصل

فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله بي، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن اليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره، وأنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى.

والذي شرح الله صدري له في حكم هذه المسائل الثلاث:

(العلو، والفوقية، والاستواء)

الأولى: مسألة العلو

وهو: أن الله عز وجل كان ولا مكان، ولا عرش، ولا ماء، ولا فضاء، ولا هواء، ولا خلاء، ولا ملاء.

وأنه كان منفرداً في قدمه وأزليته، متوحداً في فردانيته، سبحانه وتعالى في تلك الفردانية، لا يوصف بأن فوق كذا، إذ

لا شيء غيره، هو سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم، وهما لا زمان له، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدوث.

فلما اقتضت الارادة المقدسة، بخلق الاكوان المحدثة، المخلوقة المحدودة ذوات الجهات، اقتضت الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل. وهو سبحانه منزه عن صفات الحدوث، فكوَّن الأكوان، وجعل لها جهتي العلو والسفل.

واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الكون في جهة التحت، لكونه مربوباً مخلوقاً. واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون، باعتبار الكون المحدث لا باعتبار فردانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته، لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته، ما لم يكن في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان.

لكن لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات، والحدود، والخلاء، والملاء، والفوقية، والتحتية، كان مقتضى حكم العظمة للربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون، لا باعتبار القدم من المكون، فإذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من الجهة التحتية، أومن

جهة اليمنة أو اليسرة، بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو. والفوقية، ثم الاشارة هي بحسب الكون، وحدوثه، وأسفله. فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون، فإنها اشارة الى جسم، وتلك اشارة الى اثبات.

إذا علم ذلك فالاستواء صفة له كانت في قدمه، لكن لم يظهر حكمها الا عند خلق العرش، كما ان الحساب صفة قديمة لم لا يظهر حكمها إلا في الآخرة وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه الا في محله.

فإذا علم ذلك، فالأمر الذي يهرب المتأولون منه، حيث أولوا الفوقية: بفوقية المرتبة، والاستواء: بالاستيلاء، فنحن أشد الناس هرباً من ذلك، وتنزيهاً للباري سبحانه وتعالى عن الحد الذي يحصره، فلا يحد بحد يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته. والاشارة الى الجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله، اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا.

وهو في قدمه سبحانه منزه عن صفات الحدوث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية وإن من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه الا من فوقه، فتقع الاشارة الى العرش حقيقة

اشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل، ولا يكفيه الوهم، فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً، لا مكيفاً ولا ممثلاً.

وجه آخر من البيان: هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود، ثابت الذات، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته، يتجلى يوم القيامة للأبصار، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته، فإذا ثبت ذلك، فقد أوجد الأكوان في محل وحيز، وهو سبحانه في قدمه منزه عن المحل والحيز، فيستحيل شرعاً وعقلا عند حدوث العالم أن يحل فيه، أو يختلط به، لأن القديم لا يحل في الحادث، وليس هو محلاً للحوادث، فلزم أن يكون بائناً عنه، وإذا كان بائناً عنه، فيستحيل أن يكون العام في جهة الفوق، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت.

هذا محال شرعاً وعقلاً، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكيف، ولا تمثل، بل يعلم من حيث الجملة والثبوت، لا من حيث التمثيل والتكييف.

وقد سبق الكلام في أن الاشارة الى الجهة إنما هو باعتبارنا، لأنا في محل وحيز وحد، والقدم لا فوق فيه ولا جهة، ولا بد من معرفة الموجد، وقد ثبت بينونته عن

مخلوقاته، واستحالة علوها عليه، فلا يمكن معرفته، والاشارة بالدعاء اليه، الا من جهة الفوق، لأنها أنسب الجهات اليه، وهو غير حصور فيها، بل هو كما كان في أزليته وقدمه، فاذا أراد المحدث أن يشير الى القديم فلا يمكنه ذلك الا بالاشارة الى الجهة الفوقية، لأن المشير في محل له فوق وتحت، والمشار اليه قديم باعتبار قدمه، لا فوق هناك ولا تحت، وباعتبار حدوثنا وتسفلنا هو فوقنا.

فإذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة الى الأجسام، لكنا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا جهة التمثيل، والله الموفق للصواب.

ومن عرف هيئة العالم، ومراكزه من علم الهيئة[1]، وأنه ليس له الا جهتا العلو والسفل، ثم اعتقد بينونية خالقه عن العالم، فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه، لأن جميع جهات العالم فوق، وليس الا المركز وهو الوسط.

---

(١) وهو المعروف الآن بعلم الفلك.

فَصْــــل

إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصنا من شبه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا وفوقيته، واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك والصدر ينشرح له.

فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تأويل الاستواء: بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعيٌّ، مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها، عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه، ولا نقف في ذلك.

وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة، فمن وفقه الله للاثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقع على الأمر المطلوب منه، إن شاء الله تعالى.

فَصْــــل

والذي شرح الله به صدري، في حال هؤلاء الشيوخ، الذين أوّلوا الاستواء: بالاستيلاء، والنزول: بنزول الأمر، واليدين: بالنعمتين والقدرتين، هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب الا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يَديْن تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله به نفسه.

ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى فنقول:

لا ريب إنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والارادة، والكلام لله تعالى.

ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة الا هذا العَرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضاً

تقوم بجوارحنا. فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، هي صفات كما يليق به، لا كما يليق بنا.

فكذلك نقول نحن: حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان، وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ـ أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع، وحقيقة البصر، فإنهما معلومان، ولا يكيفان.

كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع والبصر، غير مكيف.

وكذلك نزوله ثابت معلوم، غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله.

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد. وبهذا يحصل الجمع بين

الإثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر، لأن الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا: في الإستواء شبهتم.

نقول لهم: في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعرض!!

وإن قالوا: لا عرض، بل كما يليق به. قلنا: في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يلزموننا في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والتعجب، من التشبيه.

نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا مما يوصف به المخلوق!!

وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن

يفهموا في الصفات السبع، صفات المخلوقين من الأعراض!!

فما يلزموننا في تلك الصفات، من التشبيه، والجسمية، نلزمهم في هذه الصفات من العرضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات، التي ينسبوننا فيها الى التشبيه سواء بسواء.

ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده، وقَبِلَ نصيحتنا، ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل، والتشبيه، والتأويل، والوقوف.

وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد، وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية.



فصل

وإذا ظهر هذا التأويل وبان، انحلت الثلاث المسائل بأسرها وهي :

١ ـ مسألة الصفات من النزول والوجه واليد وأمثالها .

٢ ـ ومسألة العلو والاستواء .

٣ ـ ومسألة الحرف والصوت .

أما مسألة العلو فقد مرَّ ما فتحه الله تعالى .

مسألة الصفات

وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو، ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته ووجهه الكريم كما يليق بجلالته وعظمته، وكيف ينكر الوجه الكريم ويحرف ! وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾[1] وقال ﷺ في دعائه: «نسألك

---

(١) سورة الرحمن: ٢٧

لذة النظر الى وجهك»[1].

واذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث، وبغيره من الآيات والنصوص، فكذلك صفة اليدين،

---

(١) «مسند» الامام أحمد بن حنبل: هو قطعة من حديث رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه، وتمامه: «قل كل يوم حين تصبح: لبيك اللهم لبيك، وسعديك، والخير في يديك، وبك ومنك وإليك، اللهم ما قلتُ من قول أو نذرت من نذر، أو حلفت من حلفٍ فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك، وإنك على كل شيء قدير، اللهم وما صليتُ من صلاة فعلى من صليت. وما لعنت من لعنة، فعلى من لعنت، إنك أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

أسألك اللهم الرضى بالقضاء، وبرد العيش بعد المهات، ولذة نظر إلى وجهك، وشوقاً إلى لقائك، من غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلّة أعوذ بك اللهم أن أظلمَ أو أُظلم. أو اعتدي أو يُعتدى عليّ، أو أكتسبَ خطيئة محبطة، أو ذنباً لا يغفر.

اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، وأشهدك، وكفى بك شهيداً، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولك الحمد، وأنت على كلّ شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقائك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها،=

والضحك، والتعجب. ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل بعظمته، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1].

واذا ثبت هذا الحكم في الوجه، فكذلك في اليدين، والقبضتين، والقدم، والضحك، والتعجب، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته، فيحصل بذلك اثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله.

ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكييف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحريف المؤدي الى التعطيل، ويحصل بذلك أيضاً عدم الوقوف بإثبات

= وأنت تبعث في القبور، وأشهد أنّك إنْ تكِلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق برحمتك فاغفر لي ذنبي كله، إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، وتب عليَّ إنك أنت التوّاب الرحيم.

وله روايات كثيرة وبعض جُمله عن عدد من الصحابة: ٥/١٩١ .

(١) يعني ان الايمان بصفات الله، كالايمان بذاته، فكما اننا نؤمن بذات لا كالذوات، كذلك نؤمن بصفات لا تشبه الصفات. فهو سبحانه واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في افعاله.

الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقل نحن من صفات المخلوقين.

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق.

فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه، فقال تعالى: ﴿المص﴾[1] وقال: ﴿ق، والقرآن المجيد﴾[2]

وكذلك جاء الحديث: «فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ»[3].

وفي الحديث: «لا أقول: ﴿ألم﴾ حرف، ولكن

---

(١) سورة ص: ١.

(٢) سورة ق: ١.

(٣) قطعة من حديث، عبد الله بن أنيس، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً» قلنا: وما بهما؟! قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت، يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان...»

والحديث اخرجه الإمام احمد في «المسند» ٣/٤٩٥، والبخاري في «الأدب المفرد» ٩٧٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/٤٣٧، وصححه، ووافقه الذهبي.

ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة لطيفة في شرح الحديث.

ومن أعجب الأمور أن ناساً من منكري الصفات، ينكرون هذا=

ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1].

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إذا قلنا بالحرف، فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات[2].

وكذلك إذا قلنا بالصوت، أدى ذلك الى الحلق والحنجرة. فعملوا بهذا من التخبيط، كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو: ان الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات. وكذلك له صوت يليق به

= الحديث، ويتقولون أقوال من سبقهم باستحالة ذلك عقلاً؟! مع أننا يجب علينا الإيمان بأن ليس كمثله شيء. وهم يسمعون الآن في كل ساعة المذياع «الراديو» يسمعه البعيد ساعة يسمعه القريب!! ويشاهدون الرائي «التلفزيون» ويشاهده البعيد قبل القريب. وتعالى الله عن الشبيه والنظير علواً كبيراً.

قطعت من حديث صحيح عن ابن مسعود. أنظر «شرح العقيدة الطحاوية» ٢٠١ الطبعة الرابعة، و«صحيح الجامع الصغير» ٦٣٤٥.

أنظر «شرح السنة» ١/١٨١ للامام البغوي بتحقيقي مع الأستاذ الفاضل شعيب الأرناؤوط طبع المكتب الإسلامي.

(٢) جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة. فكلام الله كما يليق به، وصوته كما يليق به.

ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات، فإنهما في جناب الحق لا يفتقران الى ذلك.

وهذا ينشرح الصدر له، ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف، بقوله: هذا عبارة عن ذلك.

فإن قيل: هذا الذي يقرؤه القارىء، هو عين قراءة الله، وعين تكلمه هو؟

قلنا: لا، بل القارىء يؤدي كلام الله إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً. ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق. وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدى عنه، ولهذا منع السلف عن قول: لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لا يتميز، كما منعوا عن قول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه، كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن. وما أمر السلف بالسكوت عنه، يجب السكوت عنه. والله الموفق والمعين.

فصل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء، عال على عرشه بلا حصر، ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، كان لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه، ودعائه. ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه، فانه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده، لكن ربما عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة، بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر، توجه قلبه الى جهة العرش، منزهاً له تعالى، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه وأزليته الا بها، لأنا محدثون، والمحدث لا بد له في اشارته الى جهة، فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته، لا كما يتوهمه هو من نفسه.

فَصْـــل

ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، وهو معهم بعلمه، وسمعه، وبصره، واحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته، فوق الاشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه، واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكفت أشعة العظمة على قلبه، وروحه، ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي ايمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه، من الحصر والحلول، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين.

بخلاف من لا يعرف وجهة معبودة، وتكون الجارية راعيةَ الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء، عرفته بأنه في السماء، لما قال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية أين الله»[١].

---

(١) حديث قد يبلغ درجة التواتر، أخرجه أحمد، ومسلم ومالك=

قالت: في السماء. وأقرها على ذلك.

فإنَّ «في» تأتي بمعنى «على» كقوله: ﴿يتيهون في الأرض﴾[1] أي: على الأرض، وكقوله: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾[2] أي: على جذوع النخل.

فمن تكون الجارية أعلم بالله منه، لكونه لا

= وغيرهما. وقد حاول الكوثري الطعن بهذا الحديث، عليه من الله ما يستحق. أنظر «كشف النقاب» للمحدث الألباني.

قال الإمام الذهبي: «رأينا كل من يُسأل: أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول: في السماء».

واستدل به على مشروعية السؤال: أي الله.. وعلى أن من يعترض على السائل يكون معترضاً على النبي المصطفى ﷺ.

أقول: وحتى اتباع جميع الديانات حتى الوثنيين تؤمن بأن الله في السماء، وإنما جاءت مخالفتهم من جوانب أخرى...

أنظر «مختصر العلو» ص ٨١ للإمام الذهبي الأصل. والمختصر لشيخنا محمد ناصرالدين الألباني، وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي.

(١) سورة المائدة: ٢٦

(٢) سورة طه: ٧١.

يعرف وجهة معبوده ، فإنه لا يزال مظلم القلب، لا يستنير بأنواع المعرفة والايمان، ومن أنكر هذا القول، فليؤمن به، وليجرب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه، بقلبه مبصراً من وجه، أعمى من وجه كما سبق، مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة الحصر، والتحديد، والتكييف، فإنه إذا علم ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد بركته ونوزه عاجلاً وآجلاً، ولا ينبئك مثل خبير، والله الموفق والمعين.



فَصْــــل

وقد تقرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية، كقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[1] ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾[2] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[3].

لأن فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به كما أن السفول والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته، وعظمته، وعلوه. والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه. وهو سبحانه علي بالذات، كما كان قبل خلق الأكوان، وما سواه متسفل بالذات. وهو سبحانه العلي على عرشه، يدبر

---

(١) سورة النحل: ٥٠.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٨.

الأمر من السماء الى الأرض، ثم يعرج اليه فيحيي هذا، ويميت هذا، ويمرض هذا، ويشفي هذا، ويعز هذا، ويذل هذا، وهو الحي القيوم القائم بنفسه، وكل شيء قائم به.

فرحم الله عبداً وصلت إليه هذه الرسالة، ولم يعالجها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل، وأطراف النهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات. ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب بها، والتوجه إليه منها، واثباته له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته، بلا تأويل ولا تعطل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا جمود ولا وقوف، وفي ذلك بلاغ لمن اعتبر، وكفاية لمن استبصر.

انتهت



وفي آخر الأصل ما يلي :

وما أحسن ما قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي مفتخراً بعقيدة السلف « اثبات الصفات » ومعتزاً بانتسابه لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية :

إن كان اثبات الصفات جميعها
من غير كيف موجباً لومي
وأصير تيمياً بذلك عندكم
فالمسلمون جميعهم تيمي

وسبق أن ذكرت في « الرد الوافر » ص ٢٨١ طُرفة تتعلق بهذين البيتين عن محاولة الاستاذ زاهد الكوثري الطعن في شيخ الاسلام ابن تيمية ، ما يلي :

أنشدني الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن قاسم الشهير بابن القباني قال:

أنشدنا شيخنا الإمام العالم العلامة حافظ البلاد الشامية، أبو عبد الله محمد شمس الدين ابن أبي بكر تقي الدين ابن عبد الله جمال الدين الشهير بابن ناصر الدين الشافعي رحمه الله تعالى قال:

أنشدني الإمام العلامة أحمد ابن حجي الشافعي قال:

أنشدني الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد الله شمس الدين الموصلي الشافعي لنفسه هذين البيتين:

إن كان إثبات الصفات جميعها
من غير كيف موجباً لومي
وأصير تيمياً بذلك عندكم
فالمسلمون جميعهم تيمي

فقال الاستاذ الكوثري في «ذيول تذكرة الحفاظ» صفحة (٢٥٢) ـ وما أظن أن الشعر له ـ :

إن كـــان تنـــزيــــه الإلــــه تجهماً

فـــالمؤمنـــون جميعهـــم جهمــــي

جـــل الإلـــه عـــن الحوادث أن تحـ

ل بـــــه وعـــن جهـــة وعـــن كمٍّ

بخلاف زعـم زعيمكـم سفهـــاً فـــإ

ن تـــابعتمـــوه فكلكـــم تيمـــي

وأقول: ويمكن الرد عليه بما يلي:

إن كـــان تنـــزيـــه الإلـــه بـــزعمكـــم

تعطيـــل آيـــاتٍ أتـــت بـــالمحكـــم

أو نفـــي أخبـــار النبي بظنكـــم

فـــالنـــار مثـــوى الكـــافـــر المتجهـــم

فـــالله جـــلّ جلالـــه في شرعنـــا

رفـــع الحبيـــب الى المقـــام الأكـــرم

* * *

أنكـــرتم العـــرش العظيم جهـــالـــة

مـــن دون فهـــم للكتـــاب المحكـــم

والعــــرش محمول وربي ذو غنــــىً
عــن كــل مخلــوق فسلم تَسْلَـــمِ
مــا أكفــرَ العلماءُ جَهْماً فــريــةً
بــــل منكــــرَ التكليمِ للمتكلم
قــد كلَّــمَ الرحمنُ مــوسى بــالــذي
أوحــــاه ربي للنبي الأعظـــــمِ

* * *

وحقيقــة الإيمان تصـــديـــق وإقـ
رار وفعـــلُ جـــــوارحٍ للمسلم
فقــدان واحــدة مخل . . . فــالتــزم
بــالحق . . . واسلـك في الطـريــق الأسلمِ
ولقــد يـزيـد وينقـص الإيمان بــالطــا
عــات حينــاً والمعــاصي فــاعلم

* * *

ومــن العقــائــد رؤيــة الرحمن في
جنــاتــه فضلاً لِكُــلِ مُنعَّـــم

وشفـاعــةُ المختـــار نـــرجـــوهـــا
ونـــرجـــو رحمة المولى الكـــريم المنعِــم
مَـــن مـــات وَهْـــوَ مـــوحـــدٌ للهِ لم
يخلـــــد على عصيـــــانــــــهِ بجهنم

وقد تلقى أهل العلم والفضل طبعتنا السابقة لهذه الرسالة مما دل على فضلهم وغيرتهم. ومن ذلك ما تكرمت به المجلة العربية الصادرة عن المملكة العربية السعودية في عددها الممتاز ١٠ رمضان ١٣٩٨ هـ.

بتقريظ طبعتنا السابقة بما يلي:

باشراف الدكتور منير العجلاني.

ومما قالت المجلة:

النصيحة في صفات الربّ جل وعلا

ظهر هذا المؤلف في الطبعة الأولى بعنوان «عقيدة الواسطي» ضمن مجموع اسمه «أربح البضاعة». ثم بدا للمحقق أن المؤلف قد أسماها بـ «النصيحة» فأفردها، ثم طبعها مستقلة بهذا الاسم.

المؤلف هو عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي،

وهو ابن شيخ الحزّامين ـ وهي طائفة معتدلة من الأحمدية الرفاعية ـ .

ولد سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م بواسط، المدينة الواقعة بين الكوفة والبصرة، والتي كانت قاعدة العراق أيام بني أمية؛ ثم رحل إلى بغداد، وحج وأقام بعد ذلك بالقاهرة ثم دمشق؛ وفيها مات سنة ٧١١ هـ / ١٣١٢ م ودفن بسفح جبل قاسيون. رحمه الله.

له مؤلفات قيّمة، في الفقه والسيرة والدعوة إلى الله باقتفاء السنة، والردّ على المبتدعة كالاتحادية وغيرهم.

وكان مشهوراً بالزهد، وكثرة العبادة، معمور الأوقات بالأوراد والذكر، والإفادة، والتصنيف، والفكرة.

وكانت له منزلة كبيرة عند علماء العراق والشام. قال عنه الإمام الذهبيّ: « شيخنا القدوة ». وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عنه: « جُنَيْد وقته » تشبيهاً له بالإمام الجنيد العالم العابد الكبير.

أما المحقق فهو العالم السلفي الشيخ زهير الشاويش، الذي آلى على نفسه خدمة العقيدة السلفية، وطبع مؤلفاتها، ونشر كتبها محققةً وفق الأصول العلمية في التحقيق الأصيل.

* * *

ويرى المحقق الكريم أن الأقاويل قد كثرت في زماننا في مسئلة صفات الله، وخاض في هذا البحث من يعرف ومن لا يعرف، ورمى الناس بعضهم بعضاً بالتكفير، من جراء الجهل، والتأويل لبعض مسائل العقيدة، وبخاصة مسألة الصفات لله عزّ وجلّ والفوقية له، جلَّ جلاله، وكلام الله: القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله سبحانه؛ وهي مسائل هامة شغلت أذهان كثير من الباحثين، وكثر الاختلاف حولها.

لقد سبق لمثل هذه الفتنة أن قامت في عهد الإمام الواسطي، فكتب هذه «النصيحة» بأسلوب علمي موضوعي بعيد كل البعد عن الانفعالات. ولا غرابة في ذلك فهو رجل السلوك الرفيع، والدعوة إلى الله

بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكان من خطة المحقق عزو الآيات الكريمة لمواضعها من كتاب الله الكريم ، وتخريج الأحاديث النبوية الواردة فيه، وإضافة تعليقات ما دعت الحاجة إليها .

* * *

الشكر للمكتب الإسلامي الذي تفضل فأهدى المجلة هذا الأثر الطيب الذي نرجو أن يكون له فائدة لكل المسلمين .

الفهرس